إزالة الغَبْرة عن صدقات مهجورة بأعمال يسيرة لنيل الأجور الكثيرة

2024-08-09

الحمد لله الذي جَعَلَ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سَبَبًا لِرِضَاهُ، وَإِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَعْطَاهُ، وَعَطَاؤُهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْقَطِعُ؛ لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا يَفُوتُ، وَحَيٌّ لَا يَمُوتُ ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). فسبحانه من إله يسَّر للسّالكين من طاعته الأسباب. وفتح خزائن الأعمال الصّالحة للموفَّقين من الأحباب. ووعد العاملين الجزاء الأوفى وحسن الثّواب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرّين، ومُسبِل النِّعم على الخلْق أجمعين، عَظُم حِلمه فستر، وبسط يده بالعطاء فأكثر، نِعمه تَتْرى، وفضْله لا يُحصى، مَن أناخ بباب كرمِه ظفَر، وأزال الضر عنه وجبر ما انكسر، إليه وحده تُرفع الشكوى، وهو المقصود وحده في السر والنجوى، يجود بأعظم مطلوب، ويعمّ بفضله وإحسانه كل مربوب، وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله، أرشدَنَا إِلَى عَمَلِ الصالحاتِ، وفعلِ القرباتِ، التي يجْري ثوابُها فِي الحياةِ وبعدَ المماتِ، وهو القائل صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)).

يا أيّها الناس هذا سيِّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورَغَّبَنَا

ومِنْ مخالفةِ الرحمان رَهَّبَنَا * يا أمّةً سعِدَتْ هذا نبيُّكُمُ

صلّوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته مِن بَعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. كثيراً ما يطرق أسماعنا الندبُ إلى الصدقة، والحثُّ على البذل، ونسمع في الأحاديث النبوية الشريفة الترغيبَ في التصدّق، وأنّ الصدقة برهان، وأنها دليل على صِدْق الإيمان، وأنّ في الجَنّة باباً لمن كان من أهل الصدقة، فنظنّ حينها أنّ الصدقة لا تكون إلا بالمال، فتنكسر قلوب الفقراء، لأنهم يظنّون أنّ الصدقة حَكْرٌ على الأغنياء، ولَربما شحّ الغني، أو احتاج الواجد، أو أراد الراغب أن يزيد في الإنفاق، وهنا يأتي الباب الذي نغفل عنه كثيراً حينما قصّرنا الصدقة على إنفاق المال، ولا شك أنها من أشرف الصدقات. ولكن؛ ثَمَّةَ أبواب أخرى من الصدقات يقدر عليها الغني والفقير، ولها من الفضيلة الأجرُ الكثير، ويُحرم المرء خيرا حين لا يلج أبوابها، ولا يتصدّق عن طريقها، ولقد توافرت النصوص من أقوال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيِّنةً أمورا قد نعملها ونغفل عن احتساب الأجر فيها ونيّةِ الصدقة. أيّها المسلمون. وفي صحيح مسلم؛ عَنْ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: ((أنّ الفقراء من الصحابة جاؤوا إلى رسول الله يَحْدوهم الرغبة في المسابقة للطاعة والجنّة؛ لكنهم يرَوْن أصحاب الجِدَة يتسابقون للبذل، وأمّا هم فلا يجدون، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين له: يا رسولَ اللهِ: ذهَبَ أهلُ الدُّثور بالأجورِ، يصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصَدَّقون بفضولِ أموالِهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جابرا لخواطرهم، وموسِّعا لدائرة الصدقة في نفوسهم. قال: أوَ ليْسَ قد جعَلَ اللهُ لكم ما تصدَّقون به؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ

صدقةً، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكرِ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدِكم صَدَقةٌ. قالوا: يا رسولَ اللهِ، أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: أرأيتُم لو وضَعَها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضَعَها في الحلالِ كان له أجرٌ)). وزادة النسائي في الأخير: ((وذكر أشياءَ : صدقةً، صدقةً، ثم قال: ويُجْزِئُ من هذا كلِّه ركعتا الضُّحَى)). أيّها المسلمون. دعونا اليوم نعرض صوراً من الصدقات التي نقدر عليها، وفي ذات الوقت قد نغفل عنها، ولا تكلّفنا مالاً، وفي ذات الوقت تكسبنا أجرًا. فمِن هذه الصدقات: ما جاء في الحديث المتَّفق عليه عن أَبي موسى رضي الله عنه, عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ, قَالَ: أرأيتَ إن لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ, قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: يَأمُرُ بِالمَعْرُوفِ أوِ الخَيْرِ, قَالَ: أرَأيْتَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإنَّهَا صَدَقَةٌ))، وفي صحيح الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)). فمن لم يتيسَّر له الصدقة بالمال فقد فتح له الإسلام آفاق أوسع للصدقة من الذكر، والتسبيح، والتحميد، وسائر أبواب عمل الخير، فالخير يدفع الشر والبلاء. أيّها المسلمون. ومن جلائل الصدقات والقربات، يوم أن يكون المرء في الضُّحَى. في ذروة انشغال الناس بأعمالهم، فيقوم المرء حينها تاركاً شغله، مقبِلا على ربه. ليركع لله ركعتين في الضحى، فإن ذلك من جلائل الصدقات والقربات، ففي صحيح مسلم. عنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: ((يُصْبِحُ عَلى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحدِكُمْ صَدَقةٌ: فكُلُّ تَسْبِيحةٍ صدقةٌ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ،

وكُلُّ تَكْبِيرةٍ صدقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنكَرِ صدقَةٌ. وَيُجْزِيءُ مِنْ ذلكَ ركْعتَانِ يَرْكَعُهُما منَ الضُّحَى)). ونحن نواجه تيّارا من المنكرات. فهناك باب للصدقة يحتاج من كل مسلم أن يلجه. ألا وهو باب الأمر بالمعروف والإنكار على مَن وقع في المنكرات، ندب إلى ذلك رسول البشرية صلى الله عليه وسلم. فقال: ((وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنكَرِ صدقَةٌ))، ولئن كان الفقراء يحتاجون للصدقة بالمال؛ فإنّ الصدقة بالأمر بالمعروف يحتاجها كل مسلم، فما هو نصيبنا من هذا الباب الذي ميدانه أسواقنا وطرقاتنا. وبيوتنا وسائر محالّنا؟ إنها صدقة يتصدّق بها المرء على نفسه، وينقذ بها أخاه ومجتمعَه من الغرق في بحر الغفلة، فهنيئاً لمن حملوا على عواتقهم واجب الأمر بالمعروف، فلهم من الصدقة نصيب وافر إنْ خلصت النيات. أيّها المسلمون. ومن أبواب الصدقات لمن رغب في الزيادة، حجرٌ تجده على الطريق فتزيله، ضعيف تحمل معه، كبير تساعده، وامروٌ مسلم تعينه على عمله، فتلك أبواب من الصدقات. ورى مسلم عن أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رَضي اللَّه عنها قالت: قالَ رسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى -فإنَّه يَمْشِي يَومَئذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ)). ومن عظيم الصدقات، يوم أن تلهج بالتسبيح والتحميد والتهليل. وتصدع بالذكر والدعاء. فذاك لعمري صدقة من عظيم الصدقات، تتصدّق بها على نفسك، ترفع لك ذِكرك في الدنيا وعند رب الأرباب، وتسعد بها يوم المآب، فأكثر من الصدقات في أوقات فراغك وأشغالك، وحين ينتقي المرء من الكلام أطيبه ليخاطب إخوانه، فإذا تحدّث لم يجرح بحديثه، وإذا تكلّم أحسن الحديث، فذاك باب من أبواب الصدقة. ففي الحديث المتّفق عَلَيْهِ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((والكلِمَةُ الطَّيِّبَةُ

صدَقَةٌ))، وإذا أمسك عن الشر فلم يؤذ أحدا بيده وفعله، وكفّ عن الناس شَرّه، فتلك صدقة. يُحرمها الذين لا يسلم الناس من أذاهم بالقول أو الفعل، وفي الحديث: ((فلْيُمْسِكْ عن الشر؛ فإنه له صدقة)). أيّها المسلمون. ومن الصدقات، شجرة تغرسها، أو نخلة تتعاهدها، وثمرة تسقيها، وغصن تواليه. فيأكل منه إنسان. أو طير أو حيوان؛ فإنّ ذلك من الصدقات، فاحتسب يا صاحب الأشجار والبستان، وافرح، فكم من طير كان قُوته من شجرك، وفي الحديث الذي رواه مسلم؛ عنْ جابر بن عبد لله رضي لله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إلاَّ كانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْه لَه صدقَةً، وَلاَ يرْزؤه أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً)). وعند مسلم أيضا: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أمّ معبد حائطا فقال: ((يا أم معبد، مَن غرَس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟ فقالت: بل مسلم. قال: فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير. إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة)). أيّها المسلمون. من الصدقات. يوم أن تُضَيّف مسلما ضيافةً مستحبّة، وتدعوه إلى بيتك. فتكرمه حين دعوته. وتحسِن إليه إذا أتاك، فتلك صدقة من الصدقات. إن كانت المقاصد طيّبةً. ولم يُرَد بالضيافة طلبُ محمدة وفخر، وفي الحديث الذي رواه البخاري. عن أبو شريح العدوي خويلد بن عمرو رضي الله عنه. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جائِزَتَهُ. قالَ: وما جائِزَتُهُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: يَوْمٌ ولَيْلَةٌ، والضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أيَّامٍ، فَما كانَ وراءَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ عليه، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ)). وأمّا الكنز الذي لا يكلّف درهماً، والطريق إلى القلوب بلا استئذان: الإبتسامة في وجه مَن تقابل من المسلمين. صدقة من الصدقات، وفي مقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ))، وإلى الذين عبست وجوههم، واكفهرّت ملامحهم، ولم تعرف الإبتسامة لوجوههم طريقاً. فحرموا ذلك

الخُلُق وذلك الأجر، أَمَا إنّ رسولكم عليه السلام لم يكن هكذا، بل كانت الإبتسامة تعلو وجهه إذا ما قابل أصحابه، كما في الشمائل المحمدية والخصال المصطفوية للترمذي. حتى قال جرير: ((ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسّم في وجهي))، بل قال عبد الله بن الحارث: ((ما رأيتُ أحدا أكثر تبسُّماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم)). أيّها المسلمون. ومن أبواب الصدقات، يوم أن ترى أخاك محتاجاً لمالٍ لنائبة من نوائب الدنيا. فتمدّ يدك لتقرضه بلا منّ ولا أذى. فذلك باب من أبواب الصدقة، وفي الحديث الذي رواه البيهقي وصححه ابن حبان؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَنْ أَقْرَضَ رَجُلا مُسْلِمًا دَرَاهِمَ مَرَّتَيْنِ. كَانَ لَهُ أَجْرُ صَدَقَتِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً)). أيْ: إذا أقرَضَ مرَّتينِ، كان ذلك كما لو تصدَّقَ على المُقترِضِ مَرَّةً واحدةً، وله أجرُ الصَّدقةِ، وقد قال اللهُ تعالى في سورة البقرة: ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)). ولذا قال ابن مسعود: لأن أُقرِضَ مرَّتَيْن أحبَّ إليَّ من أن أتصدَّقَ به مرَّةً. ولقد كان ذلك هدي الإخوان حين كانت الأخوّة صافية، والنفوس من أطماع الدنيا خالية، قال الغزالي: والمواساة بالمال مع الأخوّة على ثلاث مراتب: أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوّة. أيّها المسلمون. وإنظار المعسِر حين يحلّ أوان سداد دَيْنه صدقة، وبها تفريج كربة، قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه الذي رواه ابن ماجه وأحمد. قال: قال رسول الله صلى لله عليه وسلم: ((مَن أنظَر معسِرًا فله كلُّ يومٍ مثله صدقةٌ. ثم سمعتُه يقول: من أنظر معسِرًا فله كلُّ يومٍ مثليه صدقةٌ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ. سمعتُك تقولُ: مَن أنظر معسِرًا فله كلُّ يومٍ مثله صدقةٌ. ثم سمعتُك تقولُ: مَن أنظر معسِرًا فله كلُّ يومٍ مثلَيْه

صدقةٌ؟ فقال: له بكلِّ يومٍ مثله صدقةٌ قبل أنْ يحلَّ الدَّيْنُ. فإذا حلَّ الدَّيْنُ فأنظَرَه بعد ذلك فله كلُّ يومٍ مثلَيْه صدقةٌ))، وفي روايةٍ: ((مَن أنظَر معسِرًا فله كلُّ يومٍ صدقةٌ قبل أنْ يحلَّ الدَّيْنُ. فإذا حلَّ الدَّيْنُ فأنظَرَه بعد ذلك فله كلُّ يومٍ مثلَيْه صدقةٌ)). وبعد هذا يقال: إنَّ كُلَّ معروف تُسديه لمخلوق صغُر أو كبُر بقولٍ أو فعلٍ فهي صدقة من الصدقات. تُودع في صحيفة الحسنات، وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلُّ معروفٍ صدقةٌ. وإنّ من المعروفِ أن تَلْقَى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ. وأن تُفْرِغَ من دَلْوِكَ في إناءِ أَخِيكَ)). أيّها المسلمون. في زمن غلاء المعيشة، وتنوُّع متطلّبات الحياة؛ فإنّ من أبواب الصدقة العظيمة الإنفاق على الأهل. والقيام على حوائجهم، فهو باب من أبواب الصدقة؛ بل من كريم الصدقات وخيرها، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ثوبان رضي الله عنه مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم. قال: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دابَّتِهِ في سبيلِ اللَّه، ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ علَى أَصْحابه في سبِيلِ اللَّهِ)). قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأيّ رجل أعظم أجراً مِن رجل ينفق على عيال صغار يُعِفُّهم، أو ينفعهم الله به ويغنيهم. فإطعام الأهل وكسوتهم وسكناهم وخدمتهم صدقة من القربات الباقية. وليست من النفقات الضائعة، يتقرّب بها إلى الذي توعّد على التفريط في رعايتهم؛ بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحيح مسلم. عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((دينارٌ أنفَقْتَه في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفَقْتَه في رَقَبةٍ، ودينارٌ تصَدَّقْتَ به على مِسكينٍ، ودينارٌ أنفَقْتَه على أهلِك؛ أعظَمُها أجرًا الذي أنفَقْتَه على أهلِك)). وهذا درسٌ نبويٌّ يعلّمنا كيف نرتّب النفقات والصدقات، ونقدّم المهمّ فالمهمّ، وفي حديث الإمام أحمد عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ

صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ)). إنها كلمات نبوية تهدي لمن تبرَّم من الإنفاق، ولمن ضيّع مَن يعُول. وضيّق عليهم في رزقهم. وأحوجهم مع جِدَته إلى تكفّف الناس. ومع هذا: فليس المراد أن يكون إنفاقاً بسرَفٍ وبذَخٍ، فذاك أمرٌ ذمّه اللهُ ورسولُه، وإنما أن يكون الإنفاق بالمعروف، ولكل بيتٍ وشخصٍ وزمانٍ حاجته، ولا يُقِرُّ الشرع مَن يبالغ في الإنفاق والتباهي والسرف، ثم هو يحتج بمثل هذه الأحاديث؛ فالله لا يحب المسرفين. ومن القصور أن نرى الإنفاق على الأهل هو في طعامهم وشرابهم على أهمية ذلك؛ بل مثل ذلك في الأهمية النفقة على تربيتهم واستصلاحهم. وتغذية عقولهم، وذاك أمرٌ أغفله كثير من الآباء، والإحسان إلى الزوجة، والقيام بحقها، والتلطّف معها صدقة. يُحسن الزوج بها لمن جعلها الله تحت يده؛ ولأنّ الرجال أغلب، والطغيان من الغالب قد يقع؛ ولأنّ المرأة تحتاج للرفق واللطف. رغّب الشرع في الإحسان إليها، حتى عدّ اللقمة يضعها الزوج في فم زوجته صدقة، وقال صلى الله عليه وسلم: ((في بُضْعِ أحدكم صدقة))، وروى البخاري في الأدب المفرد عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدٍ: ((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ)). أيّها المسلمون. فتلك صدقات بين أيدينا، قد أشرعت أبوابها لمن رامها، فمَن منَّا يعجز عنها، ومَن مِنّا مَن يعجز عن كلمةٍ طيّبة، أو تسبيحةٍ، وتهليلة، أو حتى نيَّةٍ حسَنَةٍ، وربما كانت نيّة المؤمن أبلغ من عمله، تلك أبوابٌ من الصدقات، ومنافذ للقربات، مُوفَّقٌ من تلمَّسَها، ومغبونٌ مَن حُرِمها، وفائزٌ مَن أحسن النية فيها، والناس لا يتمايزون في القيام بها؛ بل في احتساب الأجر والصدقة فيها، وجماع الأمر أنّ كل معروف صدقة، ويوم أن يرحل المرء من دنياه وتكشفَ له صحائف أعماله في أخراه يتبيّن للمرء قدرُ الصدقات المهجورة، فهنيئاً لمن تصدّق بماله وبفعاله، وبنواياه وبأقواله، فملأ صحائفه بالصدقات، والمرء في ظل صدقته يوم القيامة. جعلَنا الله من أهل

الصدقة، ورزقنا المسارعة للطاعة. اللهم اجعلنا ممّن قالوا: سمعنا وأطعنا، ووفّقنا لما يرضيك عنّا، وتوفّنا وأنت راض عنّا، اللهم إنّا نسألك أن تطهّر قلوبنا من الشح والبخل، وأن تجعلنا من الكرماء في سبيلك، اللهم اجعلنا ممّن ينفقون ويبذلون، اللهم اجعلنا ممّن تضاعف لهم الأجور في صدقاتهم، واكتب لنا بها أجراً عندك يا رب العالمين، وأدخلنا من باب الصدقة في جنّات النعيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ